مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثالث ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــــداد

المحرم الحرام ١٤٠٩هـ ـ ايلول ١٩٨٨م

الدولة في عهد الرسول

صلى الله عليه وسلم

الدكتور أحمد مطلوب

(عضو المجمع)

لم تكن للاسلام دولة قبل هجرة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم– الى المدينة المنورة ، لانّ الدعوة الاسلامية كانت في مرحلتها الاولى ولانّ أهل قريش ناوأوا الدين الجديد وعذبوا بعض المسلمين ليردوهم عن عقيدتهم الى الشرك بالله واليوم الآخر . ولما اشتدت مقاومة اهل مكة للرسول – عليه السلام – هاجر بعض المسلمين وبدأ الاتصال بأهل يثرب فكانت بيعة العقبة الاولى وبيعة العقبة الثانية واطمأن رسول الله الى أهل يثرب فهاجر اليها بعد أن أذن الله له بالهجرة ، وهناك وجد قوما آمنوا ودخلوا في دين الله ولقي أرضا صالحة لاقامة دولة تحمي الرسالة الجديدة وتقيم التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وتدعو الى الاسلام في الجزيرة العربية . كانت يثرب او المدينة المنورة ذات نظام قبلي ، وكان أفراد كل عشيرة يسكنون في منطقة مزارعهم ويتعاونون فيما بينهم ، ولم تكن فيها حكومة أو مؤسسات سياسية تدير شؤونها لسعة مساحتها وتباعد محلات سكن أهلها واشتغالهم بالزراعة وعزلتهم عن العالم . ولم يكن الأمن مستتبا فيها اذ كانت الخصومات بين العشائر شديدة وكانت المصالح الخاصة توجه الحياة توجيها لايؤدي الى سلطة مركزية تقيم الأمن وتحمي المواطنين وتطور الحياة وتقيم العلاقات بين أهل المدينة وما جاورها بخلاف مكة التي كانت بيئة تجارية وكانت فيها دار الندوة وبعض المجالس التي يجتمع فيها علية القوم ليحلوا مشكلاتهم ويقضوا على التناحر .

كان لهجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) أثر في تحـول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة ، واول ماواجهه – عليه السلام هو اسكان المهاجرين في الديار الجديدة بعد أن تركوا ديارهم وبعض اموالهم في مكة المكرمة وقد تجلت قدرة الرسول على حل هذه المشكلة اذ استطاع بعد زمن قصير أن يهيّئ للمهاجرين ديارا يسكنون فيها وكان للمؤاخاة أثر في أن يسود الصفاء بين المهاجرين والانصار ، وان ينصرف المسلمون الى اقامة دولتهم ونشر الاسلام . وقد بدأ تنظيم الادارة في المدينة منذ بيعة العقبة حينما عين الرسول – صلى الله عليه وسلم – نقباء ، وحينما هاجر اليها واستقر فيها تابع نشر الدعوة الاسلامية وتوضيح معالم الدين الجديد ، وشرح اسس التنظيمات المنبثقة من روح القرآن الكريم وتأكيد سيادة المجتمع الاسلامي الجديد . وكان هذا ايذانا بان يلتفّ المسلمون حول الرسول وان يطيعوه كما يطيعون الله تعالى وان يؤمنوا بانهم خير أمة أخرجت للناس وان المسلمين امة واحدة يرتبط أفرادها برابطة العقيدة الدينية لا برابطة الدم . وان على هذه الامة ان تشترك في استتباب الامن ومطاردة المفسدين ونشر الدعوة والجهاد في سبيل الله .

وبدأ النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ان استقر به المقام في المدينة المنورة ينظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ويقيم حدود الله ويأمر بأداء الفرائض ويوضح للمسلمين شروط الصلاة التي أمر الله بها والقبلة التي يتوجهون اليها والأذان الذي يقيمون به الصلاة . ويبين فريضة الصوم ويشرح أبعاده وكانت الفرائض الاسلامية والعمل بها أساسـا في التوحيد والايمان بالله ورسوله وجمع شمل المسلمين والتفافهم حول نبيهم الكريم الذي أخذ يؤمن السيادة في المدينة ليدرأ الخصومات وما كان في هذه البيئة من نزاع بين العرب انفسهم وبينهم وبين اليهود المقيمين بين ظهرانيهم . وكانت المعارضة والنفاق واليهود من اكثر مالقي في المدينة عنفا واستطاع بأمر الله وعزيمة المؤمنين ان يبدد المعارضين والمنافقين وان يطهر المدينة من اليهود الذي بدأوا يتآمرون على

الاسلام ويناقشونه ويجادلونه ويحاولون إحراجه والدسّ عليه . وقوي الاسلام في المدينة وكان لابدّ للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – من ان يعلن الجهاد في سبيل الله وان يقاتل من اجل الاسلام فكانت المعارك الكبرى الاولى وهي بدر وأحد والخندق وتم اخضاع المستعمرات اليهودية في شمالي الحجاز وكان هذا ايذانا بان يمتد نشاط الرسول الى خارج المدينة وأن يقوي ايمان المسلمين بدينهم الذي ضحّوا من أجله وهاجروا تاركين وراءهم ديارهم واموالهم وذراريهم، واخذ الاسلام يمتد الى اواسط الحجاز واطمأن الرسول الى مابذل من جهد لنشر الدعوة ، وقرر في السنة السادسة من الهجرة التوجه الى مكة لاداء العمرة وزيارة مكة التي تركها مهاجرا في سبيل الله ، وكادت هذه الزيارة تتم لولا صلح الحديبية الذي أرجأها . ولم يثن ذلك من عزيمة المسلمين لثقتهم بنبيهم الكريم وايمانهم العميق بالدين الجديد، وكان فتح مكة إيذانا بقيام الدولة العربية الاسلامية والتوجه الى حكام البلاد المجاورة وارسال الرسائل اليهم ليؤمنوا بالاسلام واتجه الرسول الى شمال الحجاز وجرت وقعات انتصر فيها ونشر دينه ، واخذ يستقبل الوفود القادمة من الجزيرة العربية وهي تعلن إسلامها بعد فتح مكة . وسميت السنة التاسعة من الهجرة « عام الوفود » لكثرة مَن وفد الى المدينة بعد أنْ عاد الرسول الى المدينة ظافرا .

لقد آمنت جزيرة العرب بالاسلام وبدأ التنظيم الاداري يأخذ شكله . وبدأت التنظيمات المالية تعطي ثمارها وكان هذا منطلقا لبناء الدولة العربية الاسلامية في الجزيرة وخارجها ، ودستورا استمد أصوله من القرآن الكريم وسنة نبيه العظيم . ان بناء الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعني ان التنظيمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية التي سار عليها العرب والمسلمون كانت وليدة البيئة العربية وانها استمدت اصولها من الاسلام وهذا يؤكد اصالة الفكر العربي ويعطي للادارة العربية دورا مهما في تنظيم حياة

الناس ، ولكن بعضهم لايؤمن بقدرة العربي على البناء بعد ان شرفه الله بالاسلام ، وهذا يدفع الى دراسة التاريخ العربي الاسلامي دراسة علمية مجردة من الانفعال والتحامل ، ويدعو الى الاهتمام بالتنظيمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية ليظهر دور العرب في بناء الدولة وقيام الكيان السياسي المتميز . وقد ظهرت في هذا القرن دراسات منصفة ، واتجه المؤمنون بأمتهم ورسالتها الخالدة الى إعادة كتابة التاريخ والوقوف على صفحاته المشرقة لتكون منطلقا لحياة كريمة واعتزازاً بما في الأمة وتراثها العريق .

ومن الكتب التي صدرت حديثا عن المجمع العلمي العراقي « الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – » للاستاذ الدكتور صالح احمد العلي ، وهو مؤرخ كبير خلق مدرسة تأريخية تؤمن بقدرة الامة العربية على العطاء . وكان الجزء الاول من الكتاب عن تكوين الدولة وتنظيمها ، وسيكون للأجزاء الاخرى دور في اظهار الدولة العربية الاسلامية والقاء الضوء على تنظيماتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية . وهو ما يحتاج اليه الدارسون في الايام حيث الهجمة الشعوبية الشرسة والتنكر لقيم الامة ومحاولة هدم مقوماتها ومحو أصالة حضارتها ضم هذا الجزء « دراسات عن قيام دولة الاسلام في المدينة وتطور تنظيمها وتوسعها وتثبيتها في شبه جزيرة العرب إبان حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما هو وثيق الصلة بها مما حدث في زمن خلافة أبي بكر الصديق » ولهذا الجزء أهمية كبيرة لأنه « يبحث في حقبة اتسمت بتطورات عميقة وشاملة شملت مختلف جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والادارية » ولانه يشمل « جانبا مهما من حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – منذ أن هاجر الى المدينة » وكانت الهجرة والاستقرار في المدينة المنورة « بداية تكون الدولة التي حققت الرسالة وأمنت حماية حملتها وتوجهاتهم » .

وهذا الجزء من الكتاب خمسة أقسام : –

الاول : أهل المدينة والدعوة الاسلامية . وقد عرض للمدينة ونظم الحياة عند

الهجرة ، وللعشائر العربية فيها ، ولاتصال اهلها بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وللهجرة اليها والاستقرار فيها ، ولتنظيم الادارة وللفرائض الاسلامية .

الثاني : تأمين السيـــادة على المدينة ، وهو المعارضة والنفاق واليهود والدعوة الاسلامية ، وتطهير المدينة من اليهود .

الثالث : الجهاد واستخدام السلاح ،وقد تحدث عن الجهاد الاسلامي والإعداد للقتال ، والمعارك الكبرى وهي بدر وأحد وحصار المدينة وهي معركة الخندق وصلح الحديبية واخضاع المستعمرات اليهودية في شمالي المدينة ، والاحوال السكانية في أواسط الحجاز ، وامتداد الاسلام في أواسط الحجاز ، واسلام عشائر أواسط الحجاز .

الرابع : امتداد الاسلام في شبه جزيرة العرب ،وقد ضم فتح مكـة ،ورسائل الرسول – صلى الله عليه وسلم – الى حكام البلاد المجاورة ، وامتداد الاسلام في شمالي الحجاز ، والوفود وامتـداد الاسلام في الجزيرة . وتطور التنظيم الاداري في جزيرة العرب ، والتنظيمات المالية .

الخامس : رسالة الاسلام وهو كلام على القرآن الكريم والدين والامة ، والاخـلاق والعلاقات الاجتماعية ، وسجايا الرسول وخلقه .

ان هذه الاقسام الخمسة التي ضمت سبعة وعشرين فصلا تعطي صورة واضحة للدولة في عهد الرسو ل –صلى الله عليه وسلم– وللتنظيمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم ، وهي ليست جديدة في مادتها فقد عرضت الكتب القديمة والحديثة لها، ولكن الجـديد هذا المنهج القويم وعرض المعلومات وتحليلها والاستنتاج منها والوقوف على أهم مقومات الدولة والامة ، وهذه اللغة السهلة الواضحة التي تحبب الى الناس تأريخهم وتقربه اليهم لينتفعوا به وليبنوا حاضراً يستمد أصوله من ماضي الامة المشرق ومن واقع حياتهم المعاصرة . ولم يكن الدكتور صالح احمد العلي بعيدا عن هذه الحقيقة بل هو أحد مؤصليها والداعين اليها ، وكان متواضعا في بحثه فلم يدّع

أنه جاء بما لم تستطعه الاوائل ، وانما قدم كتابه للباحثين ولمن يعنيهم تاريخ امتهم وأصالة حضارتها ليكون منطلقا الى دراسة جديدة تعيد كتابة التأريخ برؤية عربية بعد ان ظهرت دراسات شوهت الفكر العربي وجعلته تابعا لامبدعا..

ولعل احسن فقرة توضح هدف الباحث وتظهر تواضعه قوله : « ان الدراسة الحالية تقدم صورة عامة لمجرى الحوادث في حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبُعيد وفاته ، وكثير من الحقائق التي وردت فيهـا معروفة في ما نشـر من كتب ودراسـات سابقة ، وقد روعي فيها اظهـار الاحوال القائمة التي كان لها أثر في مجرى الاحداث وبذلك استهدفت ربط الحوادث المنفردة بالاحوال العامة مما يعين على فهم أسلم لمكانتها واهميتها ومساراتها .

ومن مظاهر عظمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ادراكه الثاقب لتلك الاحوال وأعماله الناجحة في الافادة منها في تحقيق الانجاز الباهر الذي توصل اليه ، فالدراسة راعت متابعة الاحداث وتلاحمها مع الاوضاع العامة القائمة ولم تقتصر على سرد الحوادث السياسية والحربية وانما امتدت الى تقدير اهمية الحوادث الاجتماعية والادارية والاخلاقية التي أبرزت بعد دراسة دقيقة وتأمل هادىء ومحاولة للنظر في الاحداث والاحوال كما كانت في حينها مع تجنب المبالغات التي أفضاها عدد من المتأخرين والتوجهات المقولبة التي حاول بعضهم صبّ الاحداث فيها . وكان رائدنا فيها عرض الحقيقة كما تراءت لنا .

ولاندعي الاحاطة بكل جوانب التطور الهائل وسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم – وصحبه الذين أسهموا في ذلك التطور كما لانزعم الكمال وانما نرجو أن نكون قد قدمنا صورة صادقة للجوانب التي بحثناها من التطور ترضي المعنيين بهذه الفترة والطامحين الى المعرفة والتأمل » .

ولعل كتاب « الدولة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – » يكون منطلقا لدراسات تُعنى بالدولة العربية الاسلامية وتنظيماتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية ، وهو ما يحتاج اليه العربي في هذه المرحلة من حياة أمته المجيدة.